ان مراده ان الفضيلة التي بها يستحق اللفظ ان يوصف بالفصاحة انما تكون
في المعنى دون اللفظ والفصاحة عبارة عن كون اللفظ على وصف اذا كان
عليه دل على تلك الفضيلة فيمتنع ان يوصف بها المعنى كما يمتنع ان يوصف
بانه دال وَلَهَا اي لبلاغة الكلام طرفان اعلى اليه ينتهي البلاغة كذا في الايضاح
وهو حد الاعجاز وهو ان يرتقي الكلام في بلاغته الى ان يخرج عن طوق البشر و
يعجزهم عن معارضته فان قيل ليست البلاغة سوى المطابقة لمقتضى
الحال مع الفصاحة وعلم البلاغة كافل باتمام هذين الامرين فمن اتقنه واحاط
به لم لا يجوز ان يراعيهما حق الرعاية فيأتي بكلام هو في الطرف الاعلى من البلاغة
ولو بمقدار اقصر سورة قلنا لا يعرف بهذا العلم الا ان هذه الحال تقتضي
ذلك الاعتبار مثلا واما الاطلاع على كمية الاحوال وكيفيتها ورعاية الاعتبارات
بحسب المقامات فامر آخر ولو سُلّم فامكان الاحاطة بهذا العلم لغير علام الغيوب
ممنوع كما مر وكثير من مهرة هذا الفن تراه لا يقدر على تاليف كلام بليغ فضلا عما هو
في الطرف الاعلى وَمَا يقرب منه ظاهر هذه العبارة ان الطرف الاعلى هو حد
الاعجاز وما يقرب من حد الاعجاز وهو فاسد لان ما يقرب منه انما هو من
المراتب العلية ولا جهة لجعله من الطرف الاعلى الذي اليه ينتهي البلاغة اذ المتبادر
ان يؤخذ ذلك حقيقيا كالنهاية او نوعيا كالاعجاز فان قيل المراد
ان الطرف الاعلى حد الاعجاز في كلام غير البشر وما يقرب منه في كلام البشر فالاول
حد لا يمكن البشر معارضته والثاني حد لا يمكنه ان يجاوزه او المراد ان الاعلى
هو نهاية الاعجاز وما يقرب من النهاية وكلاهما اعجاز قلنا اما الاول
فبعيد لا يفهم من اللفظ مع ان البحث في بلاغة الكلام من حيث هو من غير نظر
الى كونه كلام بشر او غيره واما الثاني فلا يدفع الفساد على ان الحق هو ان حد الاعجاز

هو

يعني مرتبة اي مرتبة للبلاغة ودرجة هي الاعجاز والاضافة للبيان ويؤيده قول
صاحب الكشاف في قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي لكان الكثير منه
مختلفا قد تفاوت نظمه وبلاغته فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا
عنه يمكن معارضته ومما التبست بين النوم واليقظة ان قوله وما يقرب منه
عطف على هو والضمير في منه عائد الى الطرف الاعلى لا الى حد الاعجاز اي الطرف الاعلى
مع ما يقرب منه في البلاغة مما لا يمكن معارضته هو حد الاعجاز وهذا هو الموافق لما في
المفتاح من ان البلاغة تتزايد الى ان تبلغ حد الاعجاز وهو الطرف الاعلى وما يقرب
منه اي من الطرف الاعلى فانه وما يقرب منه كلاهما حد الاعجاز لا هو وحده كذا في
شرحه ولا يخفى ان بعض الآيات اعلى طبقة من البعض وان كان الجميع مشتركا في امتناع
معارضته وفي نهاية الايجاز ان الطرف الاعلى وما يقرب منه كلاهما هو المعجز
وَاسفل وَهُوَ مَا اي طرف البلاغة اذا غير الكلام عنه الى ما دونه اي الى مرتبة هي ادنى منه
والتحق الكلام وان كان صحيح الاعراب عند البلغاء باصوات الحيوانات تصدر عن
محالها بحسب ما يتفق من غير اعتبار اللطائف والخواص الزائدة على اصل المراد وبينهما
اي بين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة بعضها اعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات
ورعاية الاعتبارات والبعد من اسباب الاخلال بالفصاحة وتتبعها اي بلاغة الكلام
وجوه اُخر سوى المطابقة والفصاحة تورث الكلام حسنا هذا تمهيد لبيان
الاحتياج الى علم البديع وفيه اشارة الى ان تحسين هذه الوجوه للكلام عرضي
خارج عن حد البلاغة ولفظ تتبعها اشعار بان هذه الوجوه انما تعد محسنة بعد رعاية
المطابقة والفصاحة وجعلها تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم لانها ليست مما يجعل المتكلم
موصوفا بصفة كالفصاحة والبلاغة بل هي من اوصاف الكلام خاصة وَالبلاغة
في المتكلم ملكة يقتدر بها على تاليف كلام بليغ فعلم تفريع على ما تقدم وتمهيد

Copyright King Saud University